



الأسس النظرية للقراءة التأويلية في فهم النص القرآني
عند نصر حامد أبي زيد

**The Theoretical Foundations of Interpretive Reading
in Understanding the Quranic Text According to Nasr
Hamid Abu Zaid**

جمال صالحي¹

¹ جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، djamal.salhi@univ-tiart.dz

ملخص:

لَطَمًا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَلَا يَزَالُ مَرَمَى الدِّرَاسَاتِ وَالْقِرَاءَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُ
أَسَاسًا لِلْبَحْثِ، فَتَعَدَّدَتْ بِذَلِكَ مَنَاهِجُ الدَّارِسِينَ فِيهِ، وَاخْتَلَفَتْ أُسُسُهُمْ. فِي التَّعَامُلِ
مَعَ آيَاتِهِ حَسَبَ الْمَقَاصِدِ الْمَرْجُوءَةِ مِنَ الدِّرَاسَةِ. وَلِذَلِكَ فَقَدْ شَكَّلَتْ دِرَاسَةُ النَّصِّ
الْقُرْآنِيِّ مِحْوَرًا لِلدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ؛ الَّتِي تَسْعَى لِقِرَاءَةِ النَّصِّ بِمَنَاهِجٍ جَدِيدَةٍ،
مِنْ خِلَالِ تَبْنِيِ آيَاتِ تَأْوِيلِيَّةٍ مُعَاَصِرَةٍ. وَلَعَلَّ أَبَا زَيْدٍ كَانَ مِنْ بَيْنِ أَهَمِّ الْبَاحِثِينَ الَّذِينَ
تَبَنَوْا التَّأْوِيلِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي مَقُولَاتِهَا وَإِجْرَاءَاتِهَا التَّحْلِيلِيَّةِ، وَتَوَسَّلُوا بِهَا فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ
الْقُرْآنِيِّ، حَيْثُ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى إِرْسَاءِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأُسُسِ النَّظَرِيَّةِ، وَبِنَاءِ عَلَيْهِ يُقَرَّرُ أَبُو
زَيْدٍ مِنْ خِلَالِ مَنَهْجِهِ التَّأْوِيلِيِّ أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ قَابِلٌ لِلْقِرَاءَةِ عَلَى الدَّوَامِ، وَقَابِلٌ مِنْ ثَمَّ
لِلشَّرْحِ وَالتَّأْوِيلِ؛ وَذَلِكَ لِمَا تَتِمَّعُ بِهِ الْبُنْيَةُ اللَّغَوِيَّةُ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ مِنْ خُصُوبَةٍ وَثَرَاءٍ،
تَجْعَلُهُ نَصًّا مُنْتَجًا عَلَى الدَّوَامِ

كلمات مفتاحية: الأسس؛ القراءة؛ أبوزيد؛ التأويلية؛ النظرية؛ القرآني؛ النص.

Summary:

The Quran has long been, and continues to be, the focus of studies, readings, and interpretations that have made it a foundation for research. This has resulted in various approaches among scholars, with differing

principles in their engagement with its verses according to the intended objectives of the study. Consequently, the study of the Quranic text has become a central theme in contemporary Arabic studies, which aim to read the text through new methodologies by adopting contemporary interpretive mechanisms. Nasr Hamid Abu Zaid is perhaps among the most important researchers who embraced Western hermeneutics in its concepts and analytical procedures, utilizing them in the reading of the Quranic text. This led to the establishment of a set of theoretical foundations. Based on his interpretive methodology, Abu Zaid asserts that the Quranic text is perpetually open to reading, and consequently, amenable to explanation and interpretation; this is due to the richness and abundance of the linguistic structure of the Quranic text, which makes it a continually productive text. **Keywords:** foundations, reading, Abu Zaid, hermeneutics, theoretical, Quranic

1. مقدمة :

لقد استطاعت النظرية التأويلية الحديثة في الفكر الغربي، أن تُحدث إمتدادًا واسعًا، ولعلَّ الإمتداد الذي اكتسب أهمية بالغة وكان له الحضور القوي سواء في الفكر النقدي الغربي أو العربي، هو ذلك الذي يُعنى بدراسة النصوص ونقدها، مستفيدًا مما وصلت إليه الهرمنيوطيقا بمختلف اتجاهاتها، ليُعلن عن نفسه منهجًا نصيًا جديدًا، لا يُفَرِّق بين نصٍّ وآخر، فالنصوص عنده سواء، وقد تلقى بعض الدارسين العرب هذه المناهج الجديدة بكل حفاوة، حتى بلغ بهم الأمر تطبيقها وتسليطها على النص القرآني، دون مراعاة لخصوصيته ولا قدسيته، وأضحى هذا يعرف اليوم بالقراءات التأويلية المعاصرة للقرآن الكريم.

غير أن رواد هذه المشاريع التأويلية قد تعددت مناهجهم واختلفت طروحاتهم؛ ولكن في مجملها تنبثق من بوتقة واحدة وتنحدر جذورها من أصل واحد، وإن اختلفوا في مستوى التنظير لها والإقناع بها، بحسب مستوى تشرُّبهم من الحضارة الغربية، والتمكن من الآليات المستخدمة عندهم، ولعل من أبرز من كان له الدور الكبير وحشد من المؤلفات الكثير: (نصر حامد أبو زيد)، الذي حاول أن يؤسس لشرعية منهجه التأويلي الجديد بكل مايمكنه أن يعطي الصبغة الأصيلة؛ من خلال استدعاء بعض المناهج التأويلية في التراث الإسلامي وجعلها حجر الأساس.

وتأتي هذه الدراسة لكشف النقاب عن أهم الأسس والمداخل التراثية التي بنى عليها أبو زيد رؤيته التأويلية للنص القرآني.

فماهي هذه الأسس والمداخل التي اعتمدها أبو زيد ليضفي الشرعية على منهجه التأويلي؟ وهل يصح توظيفها في التنظير لتأويل النص القرآني؟
وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي مستعينا بالمنهج الاستقرائي في أحيان كثيرة من خلال تتبع بعض الجزئيات والأقوال والنصوص التي أرى أنها تساعد في خدمة الموضوع.

2. _ أسس القراءة التأويلية للنص القرآني عند نصر حامد أبى زيد:

تعتبر المجهودات العلمية التي يُقدِّمها أبو زيد من خلال مؤلفاته، والتي يسعى من خلالها للكشف عن رؤية جديدة؛ تُشكِّل أسس نظريته التأويلية وذلك عبر مجموعة من المنطلقات والمداخل المهمة التي تخدم تصوراتهِ الداعية إلى مشروعية التأويل.

1.2- التأويل من خلال المجاز:

إنَّ المتَّبع لحركة التفسير والمفسرين يجد أنَّهم قد قدموا للأمة جهداً علمياً ضخماً متعددًا ومتنوعًا في مجال القراءة والتفسير والتأويل لمعاني القرآن الكريم بمناهجه المختلفة، وما يُلفت النَّظر في هذا؛ الحضور القوي لقضية المجاز باعتباره أساساً متيناً لفهم ومرتكزًا قويًا للتأويل وأداة لغوية ناجعة للإيضاح والبيان،

ولعل هذا الأمر كان من أبرز الأسباب التي دفعت علماء الكلام قبل غيرهم، استحضار المجاز آلية لفهم الخطاب القرآني، خاصة مع النصوص العقدية، مما أسهم بشكل أو بآخر في ربط العلاقة بين المجاز والتأويل في الثقافة العربية الإسلامية، ولذلك كان من الشروط اللازمة لمن شاء لقط دُرر القرآن الكريم وكشف معانيه، أن يكون ممن "اتَّسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها بالأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات"¹

والمجاز كما هو معروف في لغة العرب، فن أصيل، وسمة مصاحبة لكلامهم لما فيه من دقة وبلاغة في التعبير، وتحويل المعاني المحسوسة إلى معاني مجردة، فهو أفضل وسيلة للاتساع في اللغة، والتحرر من ربة الضيق اللفظي، والتحليق في فضاءات الخيال، وذلك بما يضيفه من علاقات لغوية جديدة تسهم في إحداث التوازن بين الألفاظ والمعاني شكلاً ومضموناً، وتوائم بين عمليتي الإبداع والتجديد في دلالة اللفظ الواحد، للخروج باللغة إلى ميدانٍ أوسع وأرحب، "فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله، مِيلُهُم إلى الاتِّساع

في الكلام، وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتدأُ بها...ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موروداً عذبَ الارتشاف،²

ولما كان القرآن الكريم أسّاس العربية ودُسْتُورها، وكان إعجازه البياني ذُرّوة سَنَامٍ إعجازه الكلي، فلا عَجَب أن يكون مورداً رَائِقاً للثروة البلاغية عند العرب، وأن يكون مجازه في القِمة من البيان العربي، وأن يكون أساساً مهمّاً من أسس بلاغته الإعجازية. على اعتبار "أن ذلك لا يتم بالحقائق المجردة وأنه لا بد من سلوك طريقة التجوز والاستعارة، فسلكُ تلك الطريقة ليكون أشبه بطريقة العرب وأدخل في الإعجاز"⁽³⁾

وربما من أهم الأسباب التي جعلت المعتزلة تنتصر لمبدأ المجاز وتدافع عنه، ما وجدوه في القرآن من آيات يوحي ظاهرها بالتجسيم والتشبيه، فكان المجاز وسيلتهم لتأويل هذه الآيات، وصرفها عن معناها الظاهري إلى معنى آخر يتفق مع أصولهم الفكرية، ويحقق التنزيه المطلق للذات الإلهية، في تصوُّرهم، وبذلك يصبح التأويل ضرورة لا بد منها، لتحقيق عقيدة التوحيد بمفهومها الاعتزالي، فمنهج المعتزلة رَفَعَ من شأن العقلِ حتى صارَ مصدراً مُقَدِّماً للمعرفة عامة، والقضايا الدينية خاصة.

وشكّل هذا الأمر انطلاقة جديدة، في مؤلفات نصر حامد أبي زيد وفي مقدمتها كتابه "الاتجاه العقلي في التفسير" والذي تناول من خلاله قضية المجاز من حيث النشأة والمفهوم، أخذاً بعين الاعتبار التطور الحاصل في الدلالة اللغوية والمصطلحات، ثم تبين علاقة المجاز بتأويل الآيات عندهم.

وهذا الإهتمام الذي أولاه نصر لمبحثِ المجاز من خلال الممارسة الاعتزالية له على النصّ القرآني، ما هو إلا محاولة لإثبات شرعية التأويل بالشكل الذي يخدم منهجه والاستناد على أسسٍ تراثية تُصَوِّغ له العمل التأويلي على مساحة النصوص القرآنية بحُرِّيَّة، وتفتح له المجال واسعاً حتى يمارس نظرياته، ويطبقها على آيات القرآن الكريم، ويؤكد على مسألة لا نهائية التأويل وتعدد المعنى.

وفي تقديري يحاول نصر إظهار المجاز بوصفه مفتاحاً للتأويل وسبيلاً لفك الجمود عن المعاني، بتجاوز القراءة الحرفية للنص وفتح الأفق أمام الثراء التأويلي الذي يزخر به النص، بعيداً عن الرؤية الاختزالية التي تقتل الإبداع التأويلي. من خلال مقارنة النص القرآني باعتباره

نصاً أدبياً، ليكون بذلك نصاً كغيره من النصوص، ومن ثمة إزاحة القداسة التي تلف هذا النص.

2.2 التأويل من خلال العرفان الصوفي:

لقد حاول أبو زيد أن يثبت رؤيته التأويلية من خلال قضية المجاز في حقلها الاعتزالي الذي يطغى عليه تحكيم العقل وتقديمه على غيره من مصادر المعرفة، لكنه لم يقتصر على ذلك؛ بل استعان أيضاً بما جاد به الفكر الصوفي من إشراقات روحية وفتوحات عرفانية، واختار لهذا أعمال شيخ الصوفية المعروف بابن عربي، فالمعتزلة في تقدير أبي زيد قامت من خلال التأويل بعمل جبار في إحياء النصوص التي بدا أنها مهددة بمصير الجمود،...، وقام المتصوفة بعمل أبلغ أثراً من خلال العمل على كشف ما تحمله الإشارات والرموز من معاني، حيث تُفصِّحُ عن دلالات أكثر إيساعاً "وتأويلات ابن عربي بصفة خاصة، فتحت آفاق النص روحياً وأخلاقياً وفلسفياً"⁽⁴⁾

فالصوفية في ثقافتها النظرية مروراً إلى الممارسة التطبيقية تُميّز بين مصطلحين مهمين من خلال تعاملها مع النص القرآني، (العبارة الإشارية)،، فالإشارة في مفهومها الحقيقي هي مجرد إحياء بالمعنى دون تحديد، وبإمكان هذا الإحياء أن يجعل المعنى أفقاً منفتحاً، أما العبارة فهي تعيين للمعنى وتحديد له يجعله مغلقاً ونهائياً، هذا التفريق يتأسس على الفصل بين المعنى الظاهر للخطاب الإلهي ودلالته الباطنة، إذ الظاهر هو مايدل عليه الخطاب بدلالة اللغة الوضعية في بعدها الناسوتي، في حين أن الباطن هو المستوى الأعمق، مستوى اللغة اللاهوتية المشفرة بإشارات لا تنكشف إلا لمن بلغوا درجات العرفان الصوفي من خلال التجربة الروحية، فالفرق بين الظاهر والباطن هو "الفرق بين اللغة الإنسانية واللغة الإلهية التي تتجلى في القرآن كما تتجلى في الوجود، وإذا كانت دلالة اللغة الإنسانية عرفية، فإن دلالة اللغة الإلهية ذاتية على المستوى الوجودي"⁽⁵⁾

فالصوفي العارف له المقدرة على الولوج إلى الحقائق في فهم النصوص القرآنية التي لا يمكن لغيره من أهل الظاهر الوصول إليها، من خلال معراجه إلى آفاق صعبة ووعرة في التعامل معها والأخذ منها بالقدر الذي تَتَفَتَّحُ وتَتَكَشَّفُ له، عبر إشارات واردة في النص، حيث

"يصبح القرآن بالنسبة للعارف خالياً من الإلغاز أو الرمز، الذين يحجبان الإنسان العادي عن مستويات الدلالة المخفية وراء مستوى الظاهر اللغوي العرفي"⁽⁶⁾
ومن ثمة فـ"التأويل في ظل هذا الفهم هو اكتشاف الشفرة الإلهية، وفهم القرآن في ضوء هذه الشفرة، أي فهمه باعتباره مجموعة من الرموز الدالة على حقائق الوجود والإنسان"⁽⁷⁾

كما أن ثنائية الظاهر والباطن في حقيقتها مشابهة لثنائية المعنى والمغزى التي يتبناها أبو زيد، وهو يرى في القراءة الصوفية ممثلة في قراءة ابن عربي، القراءة المثلى التي تغوص في أعماق الخطاب القرآني لتفتح سبل الولوج إلى معانيه الغامضة وتعطي الرؤية الجديدة لفهم النصوص.

ويبدو لي أنه بهذا التصور تتشكل مصوغات حرية التأويل والتعامل مع القرآن لدى نصر، فما العرفان الصوفي والتأويل الإشاري إلا مدخلاً وحيلة علمية، يريد بها تزيين رؤيته التأويلية بحلية شرعية ورداء تراثي، يكون بمثابة المفتاح الذي يفسح له باب التأويل ضمن نظريته لقراءة النصوص التي يسعى لإثباتها بكل وسيلة ممكنة.
دون التقيد بضوابط التفسير، التي تجعل للتعامل مع النص القرآني حدوداً، لا يجب تجاوزها، وقواعد لا يجوز مخالفتها.

3.2 التأويل من خلال البرهان الفلسفي:

ساهم استدعاء الفكر الاعتزالي بمنهجه العقلي وكذا الفكر الصوفي بمنهجه العرفاني في محاولة من أبي زيد لإضفاء الشرعية على عمله التأويلي ومسلكه في قراءة النص الديني، غير أنه لم يتوقف عند هذا الحد، بل استعان أيضاً بالمنهج التأويلي عند الفلاسفة ممثلة في المنهج الرشدي (ابن رشد) ومن القضايا المهمة التي عمل عليها "ابن رشد" "مسألة التوفيق بين الشريعة والفلسفة، وهي المسألة التي احتلت حيزاً كبيراً في اهتماماته ودفعته للتوفيق بينهما وذلك لأسباب كثيرة من ضمنها حملة الغزالي وهجومه الضاري على الفلسفة والفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة".

وتوصل ابن رشد إلى أن الدين أو الشرع يوجب النظر العقلي أو الفلسفي، كما يوجب استعمال البرهان المنطقي لمعرفة الله تعالى وموجوداته. ويشير "ابن رشد" إلى أن نصوص الشرع لها معنى جلي قريب وواضح، وأيضاً لها معنى خفي، أو بعبارة أخرى لها معنى ظاهر

ومعنى باطن، ويصرح بأن الله تعالى راعى اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم فجعل للشرع ظاهراً وباطناً، فعلى العامة أن يقبلوا ظاهر النصوص دون جدل أو تأويل؛ لأنهم ليسوا أهلاً لذلك، وإنما التأويل هو من شأن البرهانيين وحدهم لأنهم أهل لذلك،

وذهب ابن رشد إلى أن التأويل ضروري لصالح الدين والفلسفة، فإذا كان الدين يوجب النظر العقلي أو الفلسفي، فإنه من الواجب أن نلتزم تأويل ما لا يتفق معه من النصوص، وصرح ابن رشد بأن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع فإن هذا الظاهر يقبل التأويل حتى لا يصطدم الشرع والعقل.

ودعا "ابن رشد" إلى مبدأ القياس، وصرح بأنه لا استغناء عنه، وعدّه ضرورياً، وقال بأنه لا مانع من الاستعانة بما قاله الفلاسفة السابقون حتى ولو كانوا على غير ملتنا، ورد على من قالوا بأن الفلسفة تؤدي إلى الكفر بأن السبب ليس هو الفلسفة، ولكن من يتناول الفلسفة.

وأكد ابن رشد أن قصد الشارع من خلال الشرع هو تعليم العلم الحق، والعمل الحق، هذه الغايات لها غايات معرفية عديدة، حسب أصناف الناس، بعضها لا يصح فيه إفشاء التأويلات بين الناس، الذين صنفهم، أصناف ف ثلاثة: الأول ليس من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطابيون وهم الجمهور الغالب، وصنف من أهل التأويل الجدلي، هؤلاء هم الجدليون بالطبع، وصنف من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون، بالطبع والصناعة، أعني صناعة الحكمة"⁽⁸⁾

ويقول نصر أبو زيد في هذا الشأن "هكذا ينتهي ابن رشد إلى أن البرهان الذي هو معرفة العالم بقوانين العلم الفلسفي، أساسي وضروري لمعرفة الدين والشرع، وينتهي كذلك إلى أن ظاهره في الخطاب الشرعي، مخالف للبرهان، لا بد أن يقبل التأويل، بشرط تصفح الخطاب كله بكل أجزائه وتفصيله"⁽⁹⁾

فهذه جملة المصوغات والدعائم الأساسية التي يركز عليها نصر في محاولة لإيجاد المنافذ القوية التي تدعم منهجه في تأويل النص القرآني، رغم أن هذه المسالك التأويلية لم تجد لها قبولاً تاماً في عصرها، ولم تسلم من مشرحة النقد، بل وقُوبِلَتْ بِرَدُودٍ تَنَسَّفُهَا مِنَ الْأَسَاسِ.

3. موقف أبي زيد من مفهومي الاجتهاد والتجديد:

1.3 مفهوم الاجتهاد والتجديد:

أصبح مصطلح التجديد من أكثر المصطلحات إثارةً وشيوعاً في الفكر الإسلامي المعاصر، بما يحمله من دلالات على مستوى الاستخدام، وبما له من ثقل في التفكير الجمعي للمسلمين، وبالرغم من كل ما تعرض له هذا المصطلح من شروح أو اعتراضات أو تفسيرات لا يزال مصطلحاً ضبابياً، يختلف مفهومه من كاتب إلى آخر، ومن مفكرٍ إلى مفكرٍ آخر، وربما يجد البعض في هذه الضبابية ميزة للمصطلح.

ولعل نصراً كان واحداً من الذين أحدثوا رؤية خاصة وطريقاً مختلفاً لقضية التجديد، معتمداً في ذلك بالأساس على نقد التراث، واعتبار النص منتجاً ثقافياً يخضع لإكراهات الواقع وطبيعة البيئة، وهو حين يتبنى مشروعه التجديدي يبرر ويوضح الحاجة الماسة له، ويشدد النكير على أصحاب الاتجاهات التراثية التي تتنكر دون دراية لمقاصد الوحي حسبه، وذلك لأنهم يفصلون بين النص والواقع، حين يطالبون بتطبيق (نص) مطلق على (واقع) مطلق، لذلك يدعو إلى طرح وترك ما لا يناسب عصرنا والإبقاء على المتبقي منه بقدر الحاجة إليه يقول أبو زيد متحدثاً عن التراث: "، بل علينا أن نعيد صياغته، فنطرح عنه ما هو غير ملائم لعصرنا، ونؤكد فيه الجوانب الإيجابية، ونجدها ونصوغها بلغة مناسبة لعصرنا، إنه التجديد الذي لا غناء عنه" (10)

إن هذه الدعوة إلى التجديد التي ينادي بها أبو زيد في عمومها وظاهرها سليمة ومتناسبة مع سنة التغير والتبدل، والحث على ضرورة التعايش معها، من خلال تحقيق سنة التجدد والتجديد والتعاطي الطبيعي مع متغيرات ومستحدثات الحياة، لذلك يدعو إلى التعامل مع النصوص الدينية بطريقة تتماهى مع الواقع وتتكيف مع الأحداث الحاصلة، دون تعسف في إخضاع النص، خلافاً لما كان في السابق في المدونات التراثية لأن "... دور القارئ أو المؤول هنا ليس دوراً مطلقاً يتحول بالتأويل إلى أن يكون إخضاعاً للنص لأهواء الذات" (11) وهذا يبدو أن فيه تلميحاً بإتهام واضح على أن عملية الاجتهاد عمومًا، ما هي إلا إخضاع للنص بما تمليه الأهواء في كثير من صورها التراثية.

كما يرى أن الاجتهاد في صورته القديمة ما هو إلا ترجيح بين آراء الفقهاء، وهذا فيه محدودية في الرؤية للواقع، ولا يخدم بل ومناقض لمسألة الصلاحية عبر الزمان.

فالاتجاه في نظر نصر لا يستثني أي نصٍ مهما كان موضوعه، فهي كلها محل اجتهاد وقراءة جديدة، حتى الثوابت من العقائد قابلة للتجديد، أما التمسك بالرؤية القديمة لا محالة "يؤدي إلى تحديد كل من النص والواقع معاً،....ويرتد بالمجتمع إلى الخلف لا أن يحقق تقدمه" (12)

فالواقع هو الحيز الذي يتحرك ضمنه النص، وعبره فقط يكتسب حيويته، وبالواقع فقط يتحقق للنص وجود، دون تفريق بين نص تشريعي ونص عقدي .
" فالواقع أولاً والواقع ثانياً والواقع أخيراً " (13)

2.3- مبررات المشروع التجديدي لنصر حامد أبو زيد:

يرى أبو زيد أن التجديد حاجة دائمة، وضرورة ملحة، تفرضه طبيعة الوجود، ومقتضيات الحياة، لأن عقل الإنسان يمارس فريضة التفكير، والفكر لا حدود له، في تجاوبه مع كل الوقائع والأحداث، فيتجاوب معها بوسائله الخاصة، وما ليس تجديداً في مجال الفكر فهو "ترديد" لأن قانون الحياة هو التغيير في كل شيء.
وللتجديد مبرراته وأسبابه أهمها كما يرى أبو زيد:

المبررات التاريخية:

تعتبر النكبات والأزمات والحروب والهزائم التي وقعت في بلاد العرب والمسلمين من أهم الأسباب التي أثرت سلباً على كل المستويات والصُّعُد، فبات لزاماً العمل على التغيير والتجديد، لا سيما في إطار الفكر الديني الذي يُفسر ما آلت إليه الأمور بسبب تخلي المسلمين عن قيمهم الدينية والروحية وانخراطهم في تقليد الغرب، "وبذلك سيطرت الأوهام والخرافات التي تغذت من خطاب ينظر للأوضاع السيئة باعتبارها عقوبة إلهية" (14)

- المبررات المعرفية:

وهو تحقيق عملية "التواصل الخلاق" بين الإرث الفكري الذي تركه الأوائل والذي من شأنه أن يحقق الإضافة، وبين ابتكارات ومنجزات الحاضر، للخروج من أسر التقليد المطلق والتبعية الحرفية، ولا يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى دراسة التراث الديني مجدداً و"إعادة النظر في كل تلك المسلمات، سعياً لتحرير المشروع النهضوي من تلفيقته التي انكشف عجزها. (15)

وبالتالي يظهر لنا أن التجديد والاجتهاد الذي ينادي به أبو زيد، يجب أن يكون متجاوزاً للفهم الإسلامي التقليدي المرتبط بالتراث، والمسجون في اجتهادات المتقدمين، وأيضاً متجاوزاً للمشروع النهضوي التلفيقي الذي أقحم التراث في كل شيء مع الأخذ بطرف من مقولات الحاضر، لذلك "أن الأوان أن ينهض المثقفون بمناقشة كل القضايا التي أصبحت حكراً على خطاب الإسلاميين" (16)

من هنا يفترض أبو زيد وجود أزمة فكرية يجب التخلص منها ومن تبعاتها والتي وصفها بأزمة النص، وهي تسيطر على العقل فتجعله منغمساً في الإيديولوجيا ولا انفكاك منها "إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية وإطلاقه حراً.... ينتج المعرفة التي يصل بها إلى مزيد من التحرر فيصقل أدواته، ويطور آلياته" (17)

فالحرية المطلقة المفتوحة فقط هي التي تتيح الفضاء المناسب للاجتهاد دون أي قيد يأسره؛ لأن أبا زيد في مشروعه التجديدي يبحث عن الاجتهاد الذي ينفصل عن المادة الأولى التي بني عليها التشريع؛ أعني النص القرآني والحديث النبوي، ويريد أن يقطع الصلة بين التفسير الجديد في صورته المعاصرة وبين كل ماله علاقة بالتراث الإسلامي.

4. خاتمة:

هذه أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال محطات هذه الدراسة، والتي نسجلها في النقاط التالية:

- يعتبر أبو زيد مناهج المعتزلة والصوفية والفلاسفة في تأويل القرآن الكريم، مناهج من شأنها أن تفتح أفقاً فسيحاً في فهم النص، ويتخذ ذلك مصوغاً تراثياً لقراءته التأويلية.
- أساس التجديد في رؤية نصر؛ هو إعادة النظر في كل المسلمات دون استثناء.
- أهم مبررات التجديد والاجتهاد عند نصر هي المبررات (المعرفية والتاريخية).
- يعتبر منهج تحليل الخطاب المنهج الأثير لدى نصر باعتباره المنهج الذي يكشف كل خبايا النص من المضمهر والمسكوت عنه.

- يصف نصر حامد أبو زيد منهجه التأويلي بالمنهج التحليلي النقدي التفكيكي الذي يمنح النص خصوصية القراءة والتأويل على الدوام، وفي المقابل يحكم على بعض النصوص القرآنية بالجمود ويسمّيها (شواهد قرآنية).

_ يعتبر أبو زيد كل النصوص خاضعة للتاريخية وكل القراءات هي عبارة عن نوع من أنواع التأويل.

_ القراءة التأويلية الحدائية عموماً والنصيرية خصوصاً، تستبعد الغرض الهدائي من حسابها والذي من أجله أنزل الكتاب.

_ يعتمد أبو زيد في قراءته للنصوص عموماً على النظريات الغربية التي يرى فيها الصرامة العلمية، ويدعو إليها لأنها تستخدم منهج الشك والمراجعة لا منهج التقليد والاتباع. وما ذكرناه من المناهج التراث عنده إلا لإضفاء شيء من الشرعية احتراماً للمتلقي العربي .

5. مراجع البحث وإحالاته:

- ¹ _ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تع: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، (د ط، ت)، ص 17.
- ² - ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2. 1408 هـ/ 1988 م. ص: 14.
- ³ _ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي لبنان، ط 1. 2001 م. ص: 405.
- ⁴ _ ينظر: نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط، 3، 2008 م، ص 265.
- ⁵ _ ينظر نصر حامد أبو زيد، النص السلطة الحقيقة، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1995 م ص 268_269.
- ⁶ _ نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004 م ص 242.
- ⁷ _ ينظر: نصر حامد أبو زيد، النص السلطة الحقيقة مصدر سابق، ص، 278.
- ⁸ _ ينظر: ابن رشد الاندلسي، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، مرجع سابق، ص 118.
- ⁹ _ نصر حامد أبو زيد، النص السلطة الحقيقة مصدر سابق، ص، 274.
- ¹⁰ _ ينظر: نصر حامد أبوزيد مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، ط1، 2014 م، ص 16.
- ¹¹ - المصدر السابق، ص 234.

¹² _ ينظر:، المصدر نفسه، ص 125.

¹³ _ المصدر نفسه، ص 130.

¹⁴ _ نصر أبو زيد، التجديد التحريم والتأويل بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير، بيروت،

المركز الثقافي العربي، ط1، 2010م، ص22-23.

¹⁵ - . المصدر نفسه، ص 24.

¹⁶ _ نصر حامد أبوزيد، الخطاب والتأويل، مصدر سابق، ص 88.

¹⁷ - المصدر نفسه، ص134.